التمثيل التنغيمي للقوة الإنجازية في نداءات سورة الأعراف: مقاربة صوتية–تداولية كمية

راژان شوان صابر

قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية، جامعة صلاح الدين، أربيل، إقليم كوردستان، العراق

المستخلص

يعالج هذا البحث التمثيل التنغيمي للقوة الإنجازية في نداءات سورة الأعراف من خلال مقاربة صوتية–تداولية كمية، تهدف إلى الكشف عن العلاقة بين الخصائص التنغيمية المصاحبة للأداء القرآني والقوة الإنجازية للخطاب. وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن التنغيم في التلاوة القرآنية لا يقتصر على كونه عنصرًا صوتيًا جماليًا، بل يمثل آلية صوتية ذات وظيفة تداولية تسهم في إبراز المقاصد الخطابية، وفي تشكيل العلاقة التفاعلية بين الخطاب والمخاطَب. واعتمدت الدراسة منهجًا وصفيًا تحليليًا مدعومًا بالقياس الصوتي الكمي؛ إذ خضعت أربعة نماذج مختارة من نداءات سورة الأعراف للتحليل الصوتي باستخدام برنامج Praat، بواقع نموذج واحد لكل مقام تداولي من المقامات الآتية: التوجيه والإرشاد، والتحذير والإنذار، والدعاء والابتهال، والتعجيز والتهكم. واستُخرجت من كل نموذج المؤشرات الصوتية الأساسية، وهي: متوسط التردد الأساسي F0، والمدى النغمي، والشدة الصوتية، والمدة الزمنية، فضلًا عن تحليل المنحنى التنغيمي لكل مقام. وأظهرت نتائج التحليل وجود ترابط منتظم بين القوة الإنجازية للخطاب والخصائص التنغيمية المصاحبة للأداء الصوتي؛ إذ اتسمت المقامات التوجيهية باستقرار نسبي في المنحنى التنغيمي، في حين ارتبطت المقامات التحذيرية والتعجيزية ببروز صوتي أوضح من حيث التردد الأساسي والشدة الصوتية، بينما تميزت المقامات الدعائية باتساع المدى النغمي والامتداد الزمني بما ينسجم مع طبيعة التضرع والرجاء. وتخلص الدراسة إلى أن التنغيم في الأداء القرآني يمثل قرينة صوتية–تداولية تسهم في تجسيد القوة الإنجازية للخطاب على وفق شروط الإنجاز وسياق السلطة الخطابية الحاكمة للمقام.

الكلمات المفتاحية: التنغيم، النداء، القوة الإنجازية، التحليل الصوتي الكمي، التداولية الصوتية.

1. المقدمة

يُعدّ الخطاب القرآني مجالًا خصبًا للدراسات اللغوية الحديثة، لما يمتاز به من ثراء أسلوبي ودلالي وصوتي، ولما يتضمنه من أنماط خطابية متعددة تؤدي وظائف تواصلية وتأثيرية دقيقة. ويعود ذلك إلى ما ينطوي عليه النص القرآني من عمق بنيوي وتنوع في وظائفه الخطابية، الأمر الذي جعله مجالًا رحبًا لتطبيق المناهج اللسانية الحديثة ومقارباتها المختلفة. ومن بين الظواهر الخطابية التي تظهر فيها هذه الوظائف بوضوح ظاهرة النداء، لما تؤديه من دور في توجيه الخطاب، واستحضار المخاطَب، وتحديد طبيعة العلاقة بين المتكلم والمتلقي. فالنداء لا يقتصر على طلب إقبال المخاطَب أو تنبيهه، بل يتجاوز ذلك إلى التعبير عن مقاصد إنجازية متعددة، تتحدد بحسب طبيعة السياق والمقام الخطابي. وقد تنوعت أغراض النداء في القرآن الكريم تبعًا لتنوع السياقات المقامية. وقد اهتمت الدراسات التقليدية بالنداء من حيث أدواته النحوية وأغراضه البلاغية، غير أن المقاربات اللسانية الحديثة تتيح النظر إليه بوصفه فعلًا كلاميًا يحمل قوة إنجازية تتحدد من خلال عناصر متعددة، منها السياق، ونوع المخاطَب، ومقام الخطاب. وفي هذا الإطار، تبرز نظرية الأفعال الكلامية عند أوستن وسيرل، التي تؤكد أن القول لا ينقل معنى خبريًا فحسب، بل ينجز فعلًا تواصليًا يحمل قوة إنجازية تختلف باختلاف المقام. ومن ثم، يمكن النظر إلى النداء في الخطاب القرآني بوصفه مدخلًا لإنجاز أفعال كلامية تتنوع قواها الإنجازية تبعًا لاختلاف السياقات الخطابية وشروط الإنجاز.

ومن جهة أخرى، يمثل التنغيم إحدى أبرز الآليات الصوتية التي تسهم في إبراز المعنى الخطابي في النص المنطوق؛ إذ إن تغير طبقة الصوت، وشدته، ومدته، واتجاه منحناه اللحني يكشف عن دلالات إضافية ترتبط بالمقصد التداولي للخطاب. وانطلاقًا من هذا التصور، تسعى هذه الدراسة إلى بحث الخصائص التنغيمية المصاحبة لمقاطع النداء في سورة الأعراف، في ضوء مقاربة تجمع بين التحليل الصوتي الكمي والمقاربة

مجلة جامعة جيهان- اربيل للعلوم الانسانية والاجتماعية
المجلد10، العدد 2 (2026).
أُستلم البحث في 10 نيسان 2026؛ قُبل في 28 أيار 2026
ورقة بحث منتظمة: نُشرت في 15 تموز 2026
البريد الإلكتروني للمؤلف:razhan.saber@su.edu.krd
حقوق الطبع والنشر © 2026 راژان شوان صابر. هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الإبداعي النسبية - CC BY-NC-ND 4.0

10.24086/cuejhss.v10n2y2026.pp36-48

التداولية، بهدف الكشف عن العلاقة بين القوة الإنجازية للنداء والملامح التنغيمية التي تظهر في الأداء القرائي. وقد وقع اختيار سورة الأعراف لما تتضمنه من تنوع واضح في مقامات النداء، بين الخطاب التوجيهي، والتحذيري، والدعائي، ومشاهد الاستغاثة والتحدي، وهو ما يجعلها ميدانًا مناسبًا لاختبار العلاقة بين اختلاف المقاصد الخطابية واختلاف الخصائص التنغيمية المصاحبة لها.

وتنبع مشكلة الدراسة من أن معظم البحوث السابقة في النداء القرآني قد ركزت على الجوانب النحوية والبلاغية، أو على تحليل المقاصد التداولية، في حين لم تجمع، في حدود ما اطلعت عليه الباحثة، بين تصنيف النداءات على وفق قواها الإنجازية، وتحليل خصائصها التنغيمية تحليلًا آليًا دقيقًا قائمًا على مؤشرات كمية قابلة للقياس. ومن هنا تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن التنغيم في الأداء القرائي لنداءات سورة الأعراف يرتبط، على نحو منتظم غير حتمي، بالقوة الإنجازية للخطاب؛ إذ يمكن لاختلاف المقصد التداولي وشروط الإنجاز أن ينعكس في اختلاف الخصائص التنغيمية المصاحبة للأداء الصوتي، ولا سيما في التردد الأساسي، والمدى النغمي، والشدة الصوتية، والمدة الزمنية.

وتبرز أهمية هذه الدراسة في أنها تسهم في الربط بين علم الأصوات والتداولية ضمن مقاربة يمكن وصفها بالصوتية التداولية، كما تقدم معالجة منهجية تنتقل من الوصف الانطباعي للأداء الصوتي إلى التحليل الآلي القائم على مؤشرات كمية قابلة للقياس والمقارنة. وبذلك تسعى الدراسة إلى إثراء الدراسات اللسانية القرآنية، وفتح المجال أمام توظيف أدوات التحليل الصوتي الرقمي في دراسة الخطاب القرآني.

وقد اعتمدت الدراسة منهجًا وصفيًا تحليليًا يجمع بين التحليل الصوتي الكمي والمقاربة التداولية؛ إذ تُستقرى مواضع النداء في سورة الأعراف، وتُصنَّف النماذج المختارة على وفق وظائفها الإنجازية وشروط إنجازها، من حيث المتكلم، والمخاطَب، والسلطة الخطابية، والسياق المقامي. ثم تُحلَّل البنية التنغيمية للأداء القرآني في تلاوة الشيخ محمود خليل الحصري باستخدام برنامج Praat لاستخراج مؤشرات التردد الأساسي، والمدى النغمي، والشدة الصوتية، والمدة الزمنية، والمنحنى التنغيمي، وصولًا إلى المقارنة بين الأنماط المختلفة واستخلاص السمات المميزة لكل مقام إنجازي.

2. الإطار النظري: التداولية الصوتية للنداء بين القوة الإنجازية والتنغيم

2.1 المرحلة أسلوب النداء في ضوء التداولية

يُفهم النداء نحويًا بوصفه «طلب المتكلم إقبالَ المخاطَب إليه بالحرف (يا) أو إحدى أخواتها، سواءٌ أكان الإقبال حقيقيًا أم مجازيًا يُقصد به طلبُ الاستجابة، كنداء الله سبحانه ودعائه» (ابن هشام، د.ت، ج4، ص3). وفي المنظور البلاغي الذي ينظر إلى النداء بوصفه فعلًا إنشائيًا يعبر عن مقاصد المتكلم ووظائف الخطاب، فعرّفوه بأنه «طلبُ المتكلم إقبالَ المخاطب عليه بحرفٍ من حروف النداء ينوب مناب (أدعو) أو (أنادي)، المنقول من الخبر إلى الإنشاء» (فارس، 1989، ص156). وعلى هذا الأساس، يتضح أن النداء في التراث اللغوي العربي لم يُفهم بوصفه بنية نحوية فحسب، بل بوصفه أيضًا وسيلة إنشائية تحمل مقاصد خطابية متعددة، وهو ما يقترب من التصور التداولي الحديث الذي ينظر إلى اللغة بوصفها فعلًا تواصليًا يحقق أغراضًا إنجازية داخل السياق. ومن ثمّ فإن الجمع بين البعد النحوي والبعد البلاغي يهيئ إطارًا مناسبًا لفهم التحولات في القوة الإنجازية للنداء في الخطاب القرآني، ولاسيما عند دراسته في ضوء المؤشرات الصوتية المصاحبة للأداء. والجملة الندائية تتألف من أربعة عناصر رئيسة: (محمد خان، 2004، ص 263)

1-المنادي: وهو المتكلم أو المخاطِب الذي يُنشئ فعل النداء ويبعثه في سياق الخطاب.

2-المنادَى: وهو المخاطَب (المتلقي).

3-أداة النداء: وهي الوسيلة اللغوية المستعملة لتحقيق غرض النداء، وقد تُحذف في بعض التراكيب اعتمادًا على دلالة السياق. وأشهرها: (يا، أيا، هيا، أي) (نحلة، 1990).

4-جواب النداء (مضمون النداء): وهو المحتوى الدلالي المراد تبليغه إلى المنادَى، وقد يتمثل في جملة خبرية أو طلبية أو شرطية، بحسب المقام التداولي (الشاوش، 2001، ص 709). يوضح الجدول 1 أن البنية التركيبية لأسلوب النداء في التحليل التداولي لا تقتصر على أداة النداء والمنادى، بل تشمل أيضًا جملة جواب النداء بوصفها الحاملة للمقصد الخطابي، بما يكشف عن تداخل البنية التركيبية مع الوظيفة التداولية في تشكيل المعنى.

الجدول 1

البنية التركيبية لأسلوب النداء في التحليل التداولي

المستوى التركيبي	المكوّن	التعريف/ الوظيفة
تركيب النداء	جملة النداء	الجملة التي يُستهل بها الخطاب لتنبيه المخاطَب واستدعائه.
تركيب النداء	جملة جواب النداء	الجملة التي تلي النداء وتحمل المقصد التداولي للخطاب.
جملة النداء	أداة النداء	الأداة التي يُستفتح بها النداء لتنبيه المخاطَب، مثل: يا، أيا، هيا، أي.
جملة النداء	المنادِي (المتكلم)	الجهة التي يصدر عنها النداء وتوجّه الخطاب إلى المخاطَب.
جملة النداء	المنادى (المخاطَب)	الاسم الذي يُوجَّه إليه النداء ويأتي بعد أداة النداء.
جملة جواب النداء	مضمون الخطاب	المحتوى الذي يعبّر عن المقصد التداولي للخطاب، مثل: الأمر، النهي، الإخبار، الدعاء، والإرشاد.

ومن منظور تداولي، يُنظر إلى النداء بوصفه فعلًا كلاميًا توجيهيًا، إذ يهدف المتكلم من خلاله إلى التأثير في المخاطَب واستدعاء انتباهه قبل توجيه مضمون الخطاب إليه (العبد القادر، 2021). فحين يقول المتكلم في الخطاب القرآني: «يا آدم» أو «يا قوم»، فإنه لا يكتفي بمجرد استحضار المخاطَب، بل يمارس فعلًا لغويًا يسعى إلى إحداث أثر تواصلي في السامع وتهيئته لتلقي الرسالة الخطابية اللاحقة (نحلة، 1999، ص 44). وفي ضوء نظرية الأفعال الكلامية يمكن في النداء التمييز مستويين من القوة الإنجازية. يتمثل الأول في القوة الإنجازية المباشرة، وهي وظيفة التنبيه والاستدعاء التي يقوم بها النداء في أصل وضعه اللغوي، إذ يلفت المتكلم انتباه المخاطَب ويفتح قناة التواصل معه (المتوكل، 1985). أما المستوى الثاني فيتمثل في القوة الإنجازية المستلزمة، وهي المعاني التداولية التي يكتسبها النداء من السياق المقامي الذي يرد فيه، مثل دلالات التشريع، أو التحذير، أو الدعاء، أو التقريع، أو الدعوة إلى الإيمان (الشاوش، 2001). ويترتب على هذا التعدد في القوى الإنجازية أن يتغير الأداء الصوتي المصاحب للنداء تبعًا لاختلاف المقام الخطابي؛ إذ يسهم التنغيم في إبراز المقصد التداولي للخطاب وتجسيد معناه في الأداء السمعي. ومن ثمّ فإن اختلاف الوظيفة الخطابية للنداء غالبًا ما يصاحبه اختلاف في الخصائص التنغيمية للأداء، الأمر الذي يجعل التنغيم مؤشرًا صوتيًا مهمًا للكشف عن طبيعة القوة الإنجازية في الخطاب (المومني، 2025). وفي ضوء هذه النظرية، يمكن النظر إلى النداء في القرآن الكريم وفي سورة الأعراف على وجه الخصوص بوصفه فعلًا كلاميًا يحمل قوة إنجازية تتحدد بحسب السياق، ولا تقف عند حدود التنبيه أو الاستدعاء.

يُلحظ أن النداء في الاستعمال اللغوي لا يُطلب لذاته في الغالب، بل يُستعمل بوصفه وسيلة لتحقيق مقاصد تواصلية أخرى، الأمر الذي يجعله بمثابة تمهيد لسائر الأفعال اللغوية والمعاني التداولية التي تتلوه. ويقول أحمد المتوكل مميزًا بين النداء كفعل لغوي يحقق قوة إنجازية ويحدد وجهة الجملة، والمنادَى كوظيفة تداولية مرتبطة إسنادًا بالمقام: «يجب أن نميز بين النداء كفعل لغوي شأنه شأن الأفعال اللغوية الأخرى كالخبر والاستفهام والأمر والوعد والوعيد، والمنادَى كوظيفة؛ أي مثل علاقة تُسند إلى أحد مكونات الجملة، وبالرغم من أن النداء والمنادَى يتلازمان (يوجدان دومًا في نفس الجملة) فإنهما مقولتان مختلفتان» (المتوكل، 1985، ص 161).

وفي ضوء ذلك، يبرز الفرق بين النداء والكلام الموجَّه إلى المنادى؛ إذ إن وظيفة النداء الأساسية هي تنبيه المخاطَب وإعداده لتلقي الخطاب اللاحق، لا الاكتفاء بذاته بوصفه غاية مستقلة. ولهذا كان للمنادى أهمية أكبر من فعل النداء نفسه؛ لأن المقصد النهائي يتمثل فيما يتلو النداء من مضمون كلامي. وفي هذا السياق يشير الزركشي – ناقلًا عن الزمخشري – إلى أن النداءات الواردة في القرآن الكريم تنطوي على دلالات عميقة تتجاوز مجرد الاستدعاء اللفظي، إذ ترتبط غالبًا بمقاصد تشريعية وتوجيهية، من أوامر ونواهٍ ومواعظ وزواجر تهدف إلى تحقيق صلاح الإنسان في دينه ودنياه. ولذلك فإن هذه النداءات تمثل صيغًا بلاغية مكثفة تجمع بين التنبيه والإرشاد، وتكشف عن عمق المقاصد التي يتضمنها الخطاب القرآني (الزركشي، 2005، ج2، ص 201). ومن هذا المنظور يمكن القول: إن القوة الإنجازية للنداء تتمثل أساسًا في التنبيه، أي استدعاء انتباه المخاطَب وإقباله على المتكلم، بينما تتحدد القوة الإنجازية للكلام اللاحق للنداء تبعًا للمقصد التداولي المراد تحقيقه؛ فقد يأتي في صورة أمر، أو دعاء، أو إرشاد، أو غير ذلك من الأغراض الكلامية (بومسحة، 2019).

2.2 التنغيم بوصفه أداة تداولية

تتخذ التداولية من اللغة قيد الإنجاز موضوعًا لها؛ فهي لا تدرس المعنى بوصفه معطى ثابتًا في البنية المعجمية أو النحوية فحسب، بل تنظر إليه كما يُنتج ويُؤوَّل داخل مقام تواصلي محدد، أي في سياق استعماله الفعلي لا في صورته المجردة (بلانشيه، 2007). ومن ثمّ، تستنطق التداولية العلاقة الجدلية بين المنطوق اللساني وسياقاته المقامية ومقاصد المتكلمين، بوصف القول فعلًا تواصليًا يتحدد أثره الدلالي والإنجازي في ضوء ظروف التلفظ وعلاقة المتخاطبين بعضهم ببعض (أرمينكو، د.ت، ص 5). وقد تجسّد هذا المنظور بوضوح في نظرية أفعال الكلام عند جون أوستن، الذي ميّز بين الفعل اللفظي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري. فالجملة ليست مجرد حاملة لمعنى معجمي، بل أداة لإنجاز فعل محدد؛ كالوعد، أو الأمر، أو التحذير، أو الدعاء (أوستن، 1991). وطوّر جون سيرل هذا التصور مؤكدًا أن القوة الإنجازية هي العنصر الحاسم في تحديد طبيعة الفعل الكلامي، وتتشكل في ضوء السياق التداولي والأداء المصاحب لها (الشهري، 2004). ومن هنا برزت التداولية الصوتية بوصفها مجالًا يدرس إسهام العناصر الصوتية فوق المقطعية —كالنبر والتنغيم والإيقاع— في تعيين المقصد الإنجازي وتوجيه التأويل. فالأداء الصوتي يضيف طبقة دلالية قد تُحوِّل الجملة الواحدة إلى أفعال كلامية متعددة دون تغيير في بنيتها اللفظية (Couper-Kuhlen & Selting, 1996).

ويُعدّ التنغيم أبرز هذه العناصر، إذ يحتلّ موقعًا مركزيًا في الدراسات التداولية المعاصرة؛ إذ يُعدّ «جزءًا أصيلًا من الفعل الكلامي، لا مجرد مرافقة صوتية له، بل أداةً أساسية لتحديد القصد والمعنى في السياق» (الفقّي، 2000). لذلك، فإن الإنجاز الفعلي للقول لا يتحقق بالبنية اللفظية المجرّدة وحدها، بل يتوقف بصورة حاسمة على الأداء التنغيمي الذي يوجّه مسار التأويل، ويجسّد المقصد التداولي، ويُظهر القوة الإنجازية للخطاب (الشهري، 2004). فالجملة الخبرية قد تتحول إلى "استفهام استنكاري" بنغمة صاعدة، وقد يغدو فعل الأمر "رجاءً" أو "التباساً" إذا خُفِّضت طبقته الصوتية وأُطيل مداه الزمني (الخويسكي، 2007). ويُعرَّف التنغيم في الدرس الصوتي الحديث بأنه «التشكيل اللَّحني للجملة أو للعبارة , (Longman, 1987)» كما عُرِّف بأنه «تتابعاتٌ مطّردةٌ من مختلف أنواع الدرجات الصوتية يظهر على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة، وهو وصفٌ للجمل وأجزاء الجمل وليس للكلمات المختلفة المنعزلة» (عمر، 1997، ص 194). كما عُرِّف أيضًا بأنه: «التباين بين الارتفاع والانخفاض في درجة الصوت الناتج عن التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين التي تحدث نغمة موسيقية» (حنا، 2003، ص 67). وفئة من الباحثين ركزوا على الوظيفة الدلالية للتنغيم، إذ رأت أن اختلاف الدرجات الصوتية في أداء الجمل يرتبط بالمعاني التي يقصد المتكلم إيصالها إلى السامع (حمّاد، 2025). وفي هذا السياق، يذكر كمال بشر أن «التنغيم هو الخاصية الصوتية التي تلفّ المنطوق بأجمعه، وتتخلل عناصره المكوِّنة له، فتكسِبه تلوينًا موسيقيًا معينًا بحسب مبناه ومعناه، وعلى وفق سياق الحال أو المقام» (بشر، 2000). وقد حُدِّدت أنماطه الرئيسة في الأنواع الآتية (قدور، 2011) :

1. النغمة الهابطة: انخفاض الصوت في نهاية الجملة، وتدل غالبًا على الإخبار والجزم واكتمال المعنى
2. النغمة الصاعدة: ارتفاع الصوت في النهاية، وترتبط بالاستفهام أو التردد أو

انتظار الرد.

3. النغمة الصاعدة–الهابطة: ارتفاع يعقبه هبوط، وتُستخدم للتوكيد أو التعجب أو التعبير عن الانفعال.
4. النغمة الهابطة–الصاعدة: هبوط يتبعه ارتفاع، وتدل على التحفظ أو المعنى الضمني غير المباشر.
5. النغمة المستوية: ثبات نسبي في درجة الصوت، وتستعمل في السرد أو التعداد أو الأداء الحيادي (أيوب، 1968) .

وهذه الأنماط تُعدّ عنصرًا تداوليًا فاعلًا في توجيه المعنى وتحديد المقصد الخطابي (العاني، 1983). ومن منظور تداولي، تؤدّي أنماط التنغيم وظائف متعدّدة، يمكن إجمال أبرزها في النقاط الآتية (الشايب، 1999):

1. تمييز نوع الجملة: التمييز بين الخبر والاستفهام والأمر والتعجب، حتى في غياب علامات نحوية صريحة. (محمد وحسن، 2019)
2. حديد القوة الإنجازية: فقد يحوّل الخبر إلى تحذير، أو الأمر إلى رجاء، أو النداء إلى زجر أو استعطاف، بحسب نسق النغمة المصاحب.
3. إبراز العنصر الدلالي المحوري داخل الجملة: توجيه انتباه المتلقي إليه من خلال رفع الطبقة أو زيادة الشدة في موضع معين. (بوزناشة، 2022)
4. التعبير عن الموقف والانفعال: كالرضا، أو الغضب، أو السخرية، أو التهديد، أو الحزن. (بوردن، هاريس، & رافئيل، 1998).
5. تنظيم العلاقة بين المتكلم والمخاطَب: إذ يكشف درجة السلطة أو القرب أو الإلزام في السياق التواصلي.

والتنغيم في النداء، لا يقتصر على أداة النداء (يا) فحسب، بل يمتد ليشمل المنادى وما يتبعه من جملة جواب النداء، مشكلاً وحدة نغمية متكاملة تعبر عن غرض المتكلم. وهكذا يغدو التنغيم مؤشرًا أدائيًا يواكب الفعل الكلامي ويكشف عن طبيعته الإنجازية، إذ إن الاختلاف في المقاصد الخطابية غالبًا ما يصاحبه اختلاف في النمط التنغيمي المصاحب للقول. ومن هنا تتأسس مقاربة "التداولية الصوتية" التي ترى أن السمات الصوتية ليست عناصر شكلية محايدة، بل أدوات وظيفية تشارك في بناء المعنى الإنجازي (المومني، 2025). ولا يمكن فهم التنغيم فهماً دقيقاً بمعزل عن طبيعته الفيزيائية؛ فالصوت اللغوي في جوهره "موجات فيزيائية" تتولد نتيجة اهتزاز الأوتار الصوتية، وتنتقل عبر الهواء لتصل إلى أذن السامع. والتنغيم من الناحية الفيزيائية يُعرَّف بأنه التغيّر المنتظم في التردد الأساسي للصوت (F0) عبر الزمن (سلامة، 2004)، وما يصاحبه من صعود وهبوط في طبقة الصوت، واتساع في المدى النغمي، وتفاوت في الشدة والمدة الزمنية. وأشار كمال بشر (1999، ص. 279) إلى أن «التنغيم يُبنى على ثلاثة متغيرات رئيسة: درجة الصوت، والشدة، والزمن، إذ يسهم كلٌّ منها في تمييز الدلالات اللغوية المختلفة»، وهي عناصر تشكل مجتمعة ما يُعرف بـ«المنحنى التنغيمي» الذي يميز نمط الأداء في الجملة (العاني، 1983). وقد أتاح التحليل الصوتي الآلي قياس هذه المؤشرات بدقة، مما مكّن من دراسة التنغيم دراسةً كمية قائمة على تتبع قيم F0 عبر الزمن وتحليل المدى اللحني واتجاه المنحنى النغمي في السياق الكلامي (Crystal, 2008)ويمكن، من خلال برامج التحليل الطيفي مثل Praat ، تفكيك الإشارة الصوتية إلى مؤشرات قابلة للقياس آليًا، والتي تمثل أبعاد التنغيم الرئيسة، وهي (العوا، الشلبي، والدكاك، 2013):

أولاً: التردد الأساسي المؤشر الفيزيائي الأهم في دراسة التنغيم. فيزيائياً: هو عدد مرات اهتزاز الأوتار الصوتية في الثانية الواحدة، ويُقاس بوحدة الهرتز (مصلوح، 1980). ويُعدّ المؤشر الرئيس لدرجة الصوت، إذ يعكس الارتفاع والانخفاض النغمي في أثناء الأداء. ويُستخدم في التحليل استخراج المتوسط، والحد الأقصى، والحد الأدنى، ومدى التغير (لافوجد، 2009).

ثانياً: الشدة: تعبر عن كمية الطاقة التي تحملها الموجة الصوتية (سعة الاهتزازة)، وتُقاس بوحدة "الديسيبل"ووظيفياً: ترتبط الشدة بـ "النبر" والتركيز؛ فالكلمة المهمة في الجملة، أو النداء الذي يحمل معنى الزجر والتحذير، غالباً ما يُنطق بشدة أعلى (طاقة أكبر) لجذب انتباه المخاطب، بخلاف نداء الاستعطاف الذي قد يميل إلى الخفوت (الغامدي، 2000).

ثالثاً: المدة الزمنية: وهي البعد الزمني للصوت. وفيزيائياً: هي الفترة الزمنية التي يستغرقها المقطع الصوتي أو الجملة، وتُقاس بـ "الميللي ثانية"ووظيفياً: تؤدي دوراً حاسماً في التجويد القرآني (أحكام المدود)؛ كما أنها تحمل دلالات تداولية، فإطالة زمن النداء قد تشير إلى المبالغة في التضرع أو التعظيم، بينما يشير القصر إلى السرعة أو الحزم (مصلوح، 1980). وتتم ترجمة هذه المؤشرات الثلاثة من خلال البرامج الحاسوبية مثل (Praat) إلى رسوم بيانية دقيقة تُعرف بـ "المخطط الطيفي"، الذي يتيح للباحث: رؤية الصوت وتحويل المسموع إلى مرئي، مما يسمح بتتبع مسار النغمة لحظة بلحظة.

رابعا: المنحنى التنغيمي: يُقصد به الشكل العام لحركة التردد الأساسي (F0) عبر الزمن أثناء النطق، إذ يوضح مسار تغير الطبقة الصوتية خلال المقطع الكلامي. ويكشف تحليل هذا المنحنى عن طبيعة الحركة التنغيمية في الأداء، سواء أكانت صاعدة، أو هابطة، أو صاعدة–هابطة، أو متدرجة، أو متذبذبة. ويُعد المنحنى التنغيمي من أهم المؤشرات في التحليل الصوتي؛ لأنه يتيح تتبع التغيرات الطبقية في الأداء وربطها بالمقصد التداولي للخطاب، مما يساعد على الكشف عن العلاقة بين النمط التنغيمي والقوة الإنجازية التي يحملها القول في سياقه الخطابي.

3. الدراسة التطبيقية: تحليل السمات التنغيمية لنداءات سورة الأعراف في ضوء القوى الإنجازية

3.1 ضبط العينة الصوتية ومعايير اختيارها :

تقوم عينة الدراسة على أربعة نماذج ندائية من سورة الأعراف، اختيرت على وفق معيار تنوع المقامات التداولية وتعدد القوى الإنجازية، بما يسمح برصد التحولات التنغيمية المصاحبة لكل نمط. وقد اعتمدت الدراسة تسجيلًا صوتيًا واحدًا لتلاوة سورة الأعراف بصوت الشيخ محمود خليل الحصري؛ لما تتسم به تلاوته من وضوح في مخارج الحروف، واستقرار في النمط الأدائي، وجودة في التسجيل، فضلًا عن شيوع الاعتماد عليها في الدراسات الصوتية القرآنية.

3.2 إجراءات التحليل الصوتي باستخدام برنامج Praat:

اعتمدت الدراسة على برنامج Praat في تحليل السمات التنغيمية لنداءات سورة الأعراف، لما يوفره من أدوات دقيقة في معالجة الإشارة الصوتية واستخراج المؤشرات

الكمية المرتبطة بالتنغيم. وقد بدأ التحليل بإدخال التسجيل الصوتي المعتمد لتلاوة سورة الأعراف بصوت الشيخ محمود خليل الحصري، ثم تحديد المقاطع التي تتضمن مواضع النداء تمهيدًا لدراستها بصورة مستقلة. وبعد ذلك جرى تقطيع هذه المقاطع باستخدام أداة TextGrid، بحيث شمل التحديد أداة النداء، والمنادى، والجملة التابعة له، بوصفها وحدة أدائية متكاملة. وعقب ذلك استُخرجت المؤشرات الصوتية الرئيسة المرتبطة بالتنغيم، ثم رُسم المنحنى التنغيمي لكل نموذج؛ لرصد التحولات الديناميكية في مسار التردد الأساسي عبر المتصل الزمني وتحديد اتجاهه العام، مثل الصعود أو الهبوط أو التركيب بينهما. وأخيرًا نُظمت النتائج في جداول تحليلية، وقورنت القيم المستخرجة في ضوء التصنيف التداولي للنداءات؛ للكشف عن الفروق التنغيمية المرتبطة باختلاف القوة الإنجازية (العبسي، 2011).

3.3 التحليل الصوتي–التداولي لنماذج مختارة من نداءات سورة الأعراف:

تنتقل الدراسة في هذا المبحث إلى تحليل أربعة نماذج مختارة من نداءات سورة الأعراف؛ للكشف عن العلاقة بين القوة الإنجازية والخصائص التنغيمية في الأداء القرآني.

تحليل النموذج الأول: النداء التشريعي التوجيهي، مقام التوجيه والإرشاد:

يُقصد بالنداء التوجيهي، أو الإرشادي، ذلك النمط من الخطاب الندائي الذي يُستعمل لتوجيه المخاطَب إلى فعل أو سلوك معين، بوصفه مدخلًا تداوليًا يمهّد لإنجاز فعل كلامي توجيهي، كالأمر أو النهي أو الإرشاد. ويعمل هذا النمط على جذب انتباه المخاطَب وتخصيصه بالخطاب قبل عرض مضمون التوجيه أو التكليف، ومن ثمّ يُعد آلية تداولية تسهم في تفعيل الوظيفة الإرشادية للقول، إذ يتكامل البعد المقامي مع البنية اللغوية في تشكيل المقصد الإنجازي (النحاس، 2008). ومن أمثلة هذا المقام قوله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف: 19، وتقوم شروط الإنجاز التداولية في هذا النموذج على علاقة خطابية ذات سلطة واضحة؛ فالمتكلم هو الله تعالى، والمخاطَب هو آدم عليه السلام وزوجه، أما السلطة الخطابية فهي سلطة إلهية تشريعية وتوجيهية، يتلقى المخاطَب في ضوئها الأمر والإذن والنهي والتحذير. ويتحدد السياق في مقام الإسكان في الجنة وبيان حدود الفعل المباح والممنوع؛ إذ ينتقل القول من النداء إلى الإذن، ثم إلى الإباحة، ثم إلى النهي، فبيان العاقبة. ومن ثمّ، فإن القوة الإنجازية في هذا المقطع لا تُفهم بوصفها معنى لغويًا مجردًا، بل بوصفها توجيهًا صادرًا من متكلم أعلى سلطة إلى مخاطَب مطلوب منه الامتثال والالتزام (الزحيلي، 2014).

الشكل 1

المنحنى التنغيمي للتردد الأساسي (F0) في آية ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة...﴾ (الأعراف: 19).

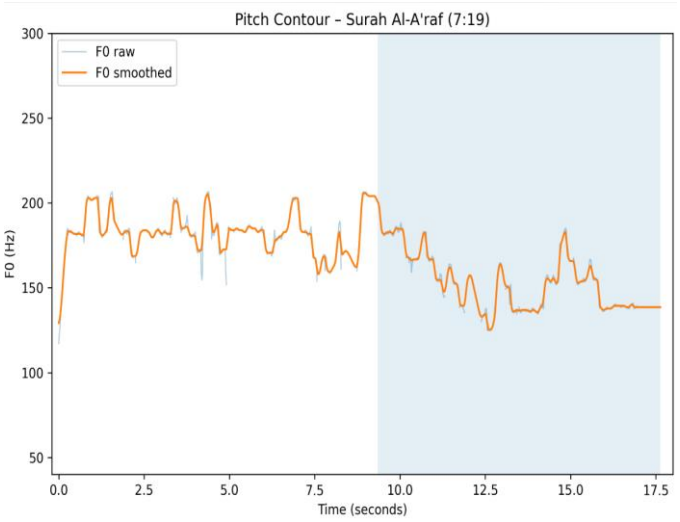

يبين الشكل 1 تغير طبقة الصوت عبر الزمن أثناء الأداء القرائي، ويظهر المسار التنغيمي العام المصاحب لتعاقب الوظائف التداولية في الآية. ويتضح من المنحنى أن الأداء يبدأ بطاقة نغمية أعلى نسبيًا في مقطع النداء، بما ينسجم مع وظيفة استدعاء المخاطَب وتهيئته لتلقي الخطاب الإلهي. ثم ينتقل الأداء إلى مقاطع الإذن والإرشاد بنبرة أكثر اتزانًا، قبل أن يتسع المدى النغمي في مقطع التحذير، ثم يتجه المنحنى تدريجيًا نحو الانخفاض في مقطع العاقبة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، إذ يؤدي الهبوط الختامي وظيفة تداولية تتمثل في تثبيت معنى الإنذار بالعاقبة في وعي المخاطَب.

الجدول 2

المؤشرات الصوتية للمقاطع التداولية في النموذج الأول (الأعراف: 19).

المقطع التداولي	القوة الإنجازية الحرفية	القوة الإنجازية المستلزمة	متوسط التردد الأساسي	المدى النغمي	متوسط الشدة	المدة الزمنية
النداء	طلب إقبال المنادى	تكريم وتخصيص بالخطاب	183.8	90.2	76.7	0.80
التوجيه الإرشادي	أمر بالإقامة في الجنة	تشريف وتطمين بالنعيم	180.4	128.1	71.8	1.11
الإباحة	إباحة التمتع	كرم إلهي وتفويض	180.4	128.1	71.8	1.11
التحذير	نهي عن الاقتراب	تحذير واختبار	166.1	148.9	73.5	1.26
الإنذار بالعاقبة	بيان نتيجة الفعل	وعيد مؤجل وتحذير بالعاقبة	144.8	117.7	71.1	1.58

في ضوء معطيات الجدول 2، يتجه التحليل الآتي إلى ربط المؤشرات الصوتية بالقوة الإنجازية في مقاطع النداء والتوجيه والإباحة والتحذير وبيان العاقبة، وذلك على النحو الآتي: في مقطع النداء ﴿وَيَا آدَمُ﴾، ينجز النداء فعلًا توجيهيًا تمهيديًا؛ إذ لا يقتصر على طلب إقبال المنادى، بل يستدعي المخاطَب ويخصصه بالخطاب، تمهيدًا لتلقي الأمر والإباحة والنهي اللاحقة. ويكون المتكلم هنا هو الله تعالى، والمخاطَب هو آدم عليه السلام، أما السياق فهو افتتاح خطاب إلهي يتضمن توجيهًا وإرشادًا وتشريعًا. وتأتي القوة الإنجازية الحرفية في صورة طلب إقبال المنادى، غير أن قوتها المستلزمة تتجاوز الاستدعاء إلى التكريم والتخصيص بالخطاب. فالنداء هنا لا يوجَّه إلى مخاطَب عادي، بل إلى آدم في مقام الاصطفاء والتكليف، ومن ثمّ يهيئه لتلقي ما سيأتي بعده من أمر وإباحة ونهي. وقد بلغ متوسط التردد الأساسي نحو 183.8 هرتز، وهو أعلى متوسط في الآية، مع شدة صوتية مرتفعة نسبيًا بلغت 76.7 ديسيبل، ومدى نغمي قدره 90.2 هرتز، ومدة زمنية قصيرة بلغت 0.80 ثانية. كما بلغ الانحراف المعياري داخل هذا المقطع 17.50 هرتز، مما يشير إلى وجود حركة تنغيمية ملحوظة بين أداة النداء والمنادى. ويعكس هذا الارتفاع في التردد الأساسي وظيفة النداء في لفت انتباه المخاطَب وتهيئته للدخول في مقام التلقي والامتثال.

أما في مقاطع الإذن والإرشاد، كما في قوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، فينتقل الخطاب من الفعل التوجيهي التمهيدي إلى فعل توجيهي مباشر يتمثل في الأمر بالسكنى، ثم إلى فعل توجيهي إذني يتمثل في إباحة الانتفاع بنعيم الجنة. فالمتكلم هو الله تعالى بوصفه صاحب السلطة التشريعية، والمخاطَب هو آدم وزوجه، والسياق هو بيان الإذن بالسكنى والانتفاع بنعيم الجنة. وتأتي القوة الإنجازية الحرفية في صورة أمر وإباحة، غير أن قوتها المستلزمة تتصل بالتشريف والتطمين وبيان سعة النعمة. وقد بلغ متوسط التردد الأساسي العام 180.4 هرتز، وهو قريب من متوسط مقطع النداء، غير أن المدى النغمي اتسع إلى 128.1 هرتز، مع انخفاض طفيف في الشدة إلى 71.8 ديسيبل، وامتداد زمني أطول بلغ 1.11 ثانية في المتوسط. أما الانحراف المعياري فقد انخفض إلى 6.43 هرتز، مما يدل على استقرار نغمي نسبي داخل هذا المقطع. ويشير هذا الاستقرار إلى انتقال الخطاب من مرحلة استدعاء المخاطَب إلى مرحلة بيان ما أُبيح له، إذ تتوازن الحركة النغمية بين الوضوح والهدوء بما يتناسب مع مقام الإرشاد والإباحة.

وفي مقطع التحذير ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾، ينجز الخطاب فعلًا كلاميًا توجيهيًا ناهِيًا؛ لأنه لا يكتفي ببيان معنى الشجرة أو موقعها، بل يسعى إلى حمل المخاطَب على الامتناع عن فعل محدد. وهنا يتغير موقع المخاطَب داخل الخطاب؛ إذ ينتقل من متلقٍّ للإذن والنعمة إلى مخاطَب مطالب بالامتناع والالتزام بحدٍّ تشريعي محدد. وتأتي القوة الإنجازية الحرفية في صورة نهي عن الاقتراب، أما القوة المستلزمة فتتمثل في التحذير والاختبار. وقد انخفض متوسط التردد الأساسي إلى 166.1 هرتز، مع اتساع ملحوظ في المدى النغمي بلغ 148.9 هرتز، وهو أعلى مدى بين مقاطع الآية، في حين بلغت الشدة الصوتية 73.5 ديسيبل، وامتدت المدة الزمنية إلى 1.26 ثانية، وسجل الانحراف المعياري 11.56 هرتز. ويكشف هذا الاتساع في المدى النغمي عن تصاعد في وظيفة التحذير؛ إذ لم يعد الخطاب مجرد إرشاد إلى المباح، بل أصبح توجيهًا مانعًا يرسم للمخاطَب حدود الفعل المحظور. ومن ثمّ، تسهم الحركة التنغيمية هنا في إبراز خطورة النهي وتنبيه المخاطَب إلى موضع الامتثال.

أما في خاتمة الآية ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فيتحول الخطاب إلى فعل إخباري ذي وظيفة إنذارية؛ إذ يَعرض نتيجة مخالفة النهي، لا بوصفها خبرًا مجردًا، بل بوصفها إنذارًا تداوليًا يراد منه تثبيت معنى الامتناع في وعي المخاطَب. والمتكلم هنا يبيّن للمخاطَب نتيجة الفعل المحظور، في سياق سلطة إلهية تقويمية تحدد أثر تجاوز الحدّ المرسوم. وقد بلغ متوسط التردد الأساسي أدنى قيمة في الآية، إذ وصل إلى 144.8 هرتز، مع مدى نغمي قدره 117.7 هرتز، وشدة صوتية بلغت 71.1 ديسيبل، ومدة زمنية أطول نسبيًا بلغت 1.58 ثانية، في حين سجل الانحراف المعياري أدنى قيمة بين المقاطع، وقدره 4.73 هرتز. ويعكس هذا الانخفاض الواضح في متوسط التردد الأساسي، مقارنة بمقطع النداء، انحدارًا تنغيميًا ذا وظيفة ختامية؛ إذ يتجه الأداء نحو الهبوط ليمنح العبارة طابعًا تقويميًا إنذاريًا، ويثبت في وعي المخاطَب نتيجة تجاوز الحدّ المرسوم له.

تحليل النموذج الثاني: النداء التحذيري (مقام التحذير والإنذار):

يمثل هذا النموذج نمطًا من الخطاب الندائي التحذيري الذي يرد في سياق التنبيه والإنذار؛ إذ يُستعمل النداء بوصفه مدخلًا تداوليًا يهدف إلى تنبيه المخاطَبين وتحذيرهم من الوقوع في الفتنة أو الضلال. وفي هذا السياق يأتي قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف: 27)، نموذجًا واضحًا لهذا المقام؛ إذ يرد النداء ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ بوصفه أداة تنبيه عامة موجهة إلى البشر جميعًا، تمهّد لعرض مضمون التحذير من فتنة الشيطان، مع استحضار مثال إخراج آدم وحواء من الجنة بوصفه شاهدًا على خطورة هذا التحذير. وتقوم شروط الإنجاز التداولية في هذا النموذج على علاقة خطابية ذات سلطة تحذيرية واضحة؛ فالمتكلم هو الله تعالى، والمخاطَب هم بنو آدم جميعًا، أما السلطة الخطابية فهي سلطة إلهية إنذارية وتوجيهية، تنبّه المخاطَبين إلى خطر الشيطان وتدعوهم إلى الحذر والاتعاظ. ويتحدد السياق في مقام التحذير من تكرار تجربة الأبوين، إذ ينتقل الخطاب من النداء إلى النهي عن الافتتان بالشيطان، ثم إلى التذكير بالعاقبة المتمثلة في إخراج الأبوين من الجنة. ومن ثمّ، فإن القوة الإنجازية في هذا المقطع لا تُفهم بوصفها نهيًا لغويًا مجردًا، بل بوصفها إنذارًا موجهًا إلى مخاطَب جماعي يراد حمله على الحذر والامتثال (الزمخشري، 2009).

الشكل 2

المنحنى التنغيمي للتردد الأساسي (F0) في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ...﴾ (الأعراف: 27).

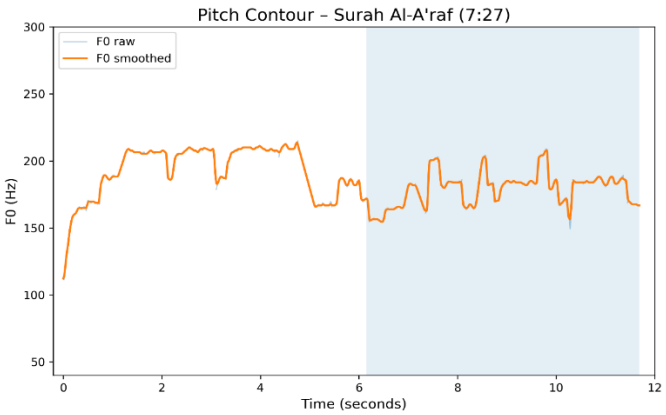

يبين الشكل 2 التغير في طبقة الصوت عبر الزمن أثناء الأداء القرائي. ويظهر من خلال المنحنى ارتفاع نسبي في طبقة الصوت في النداء الافتتاحي ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾، بما يؤدي وظيفة تنبيه المخاطَبين وجذب انتباههم إلى مقام التحذير. ثم يتركز البروز التنغيمي في الجملة التحذيرية ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾، إذ يتجه الخطاب إلى مواجهة المخاطَب بالخطر مباشرة. أما في المقطع الأخير ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾، فيميل المنحنى إلى قدر من الاستقرار النسبي مع امتداد زمني أطول، بما ينسجم مع وظيفة التذكير بالعاقبة وتحويل المثال الماضي إلى حجة موجَّهة إلى المخاطَب في الحاضر.

الجدول 3

المؤشرات الصوتية للمقاطع التداولية في النموذج الثاني (الأعراف: 27).

المقطع التداولي	القوة الإنجازية الحرفية	القوة الإنجازية المستلزمة	متوسط التردد الأساسي	المدى النغمي	متوسط الشدة	المدة الزمنية(ثانية)
النداء	طلب إقبال البشرية كلها	تنبيه عام وتكريم أبوي	184.37	115.23	78.89	2.10
التحذير والإنذار	نهي عن الافتتان بالشيطان	تحذير مباشر من كيد إبليس	196.64	58.70	76.97	4.03
التذكير بالعاقبة	إخبار بماضي الأبوين	مثال تاريخي للتحذير	179.37	106.74	75.40	5.43

استنادًا إلى نتائج الجدول 3، ينتقل التحليل إلى تفصيل المقاطع التداولية في الآية، وربط خصائصها الصوتية بقوتها الإنجازية، وذلك على النحو الآتي:

في مقطع النداء ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾، ينجز النداء فعلًا توجيهيًا تمهيديًا؛ إذ لا يقتصر على طلب إقبال المخاطَبين، بل يستدعي جماعة بشرية واسعة ويهيئها لتلقي مضمون التحذير. ويكون المتكلم هو الله تعالى، والمخاطَب هم بنو آدم، والسياق هو افتتاح خطاب تحذيري عام. وتتمثل القوة الإنجازية الحرفية في طلب إقبال المخاطَبين، غير أن القوة المستلزمة تتجاوز الاستدعاء إلى التنبيه والتذكير بالأصل الأبوي المشترك. فالنداء هنا لا يخص فردًا بعينه، بل يوجَّه إلى البشر جميعًا بوصفهم معنيين بالتحذير من فتنة الشيطان. وقد بلغ متوسط التردد الأساسي نحو 184.37 هرتز، مع أدنى قيمة بلغت 103.08 هرتز وأقصى قيمة بلغت 218.31 هرتز، مما أفرز مدى نغميًا قدره 115.23 هرتز. كما بلغ متوسط الشدة الصوتية 78.89 ديسيبل، وبلغت مدة المقطع 2.10 ثانية. وتشير هذه القيم إلى بروز صوتي في مستهل الخطاب، ينسجم مع وظيفة النداء في استدعاء المخاطَب الجماعي وإدخاله في مقام التلقي والتحذير.

أما في مقطع التحذير ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾، فينجز الخطاب فعلًا كلاميًا توجيهيًا ناهِيًا؛ لأنه لا يكتفي ببيان خطر الشيطان، بل يسعى إلى حمل المخاطَبين على الحذر واجتناب الافتتان به. وينتقل الخطاب هنا من مرحلة استدعاء المخاطَب إلى مواجهته بالخطر المحذَّر منه. وتأتي القوة الإنجازية الحرفية في صورة نهي عن الافتتان بالشيطان، أما القوة المستلزمة فتتمثل في التحذير المباشر من كيده. وهنا تبرز السلطة الخطابية الإلهية في توجيه المخاطَبين إلى الحذر، لا بمجرد بيان معنى الفتنة، بل بإحداث أثر إنذاري في وعيهم. وقد بلغ متوسط التردد الأساسي 196.64 هرتز، وهو أعلى من متوسط مقطع النداء، وسجل التردد أدنى قيمة بلغت 157.35 هرتز، وأقصى قيمة بلغت 216.05 هرتز، لينتج عن ذلك مدى نغمي قدره 58.70 هرتز. كما بلغ متوسط الشدة الصوتية 76.97 ديسيبل، وامتدت المدة الزمنية إلى 4.03 ثانية. ويدل ارتفاع متوسط التردد الأساسي، مع الامتداد الزمني، على تصاعد القوة الإنجازية للإنذار؛ إذ يصبح المخاطَب في موضع مواجهة مباشرة مع الخطر، وتغدو الآلية التنغيمية وسيلة صوتية لتعزيز أثر التحذير في المتلقي.

أما في مقطع التذكير بالعاقبة ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾، فيتحول الخطاب إلى فعل إخباري ذي وظيفة وعظية وإنذارية؛ إذ لا يورد خبر إخراج الأبوين من الجنة بوصفه معلومة سردية مجردة، بل بوصفه شاهدًا تذكيريًا يدعم التحذير السابق ويربط تجربة الأبوين بسلوك المخاطَب الحاضر. فالمتكلم يستحضر واقعة سابقة يراد منها حمل المخاطَب على الاتعاظ، وتحويل الماضي إلى حجة تفاعلية موجهة إلى المتلقي في الحاضر. وقد بلغ متوسط التردد الأساسي 179.37 هرتز، وسجل التردد أدنى قيمة بلغت 102.99 هرتز وأقصى قيمة بلغت 209.74 هرتز، مما نتج عنه مدى نغمي قدره 106.74 هرتز. أما متوسط الشدة الصوتية فقد بلغ 75.40 ديسيبل، في حين بلغت المدة الزمنية 5.43 ثانية، وهي أطول مدة بين مقاطع الآية. ويكشف هذا الامتداد الزمني عن انتقال الخطاب من الإنذار المباشر إلى ترسيخ صورة العاقبة في وعي المخاطَب، بحيث يتحول خبر إخراج الأبوين إلى وسيلة تفاعلية تدفع المتلقي إلى الاعتبار والامتثال.

تحليل النموذج الثالث: النداء الدعائي أو الابتهالي (مقام الدعاء والابتهال):

يندرج هذا الخطاب في مقام الدعاء والابتهال، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف: 23. ويتجه الخطاب في هذا الموضع إلى الله تعالى في سياق توبة واعتراف بالخطأ وطلب للمغفرة والرحمة (ابن كثير، 1998). والمتكلم هنا هو آدم وحواء عليهما السلام في مقام الاعتراف والندم، والمخاطَب هو الله تعالى بوصفه صاحب السلطة المطلقة في المغفرة والرحمة والحكم. أما السلطة الخطابية، فهي للمخاطَب لا للمتكلم؛ لأن المتكلم لا يصدر أمرًا أو إلزامًا، بل يتوجه من موقع الضعف والافتقار إلى مخاطَب أعلى مقامًا وقدرة. ويتحدد السياق في لحظة ما بعد المخالفة، إذ يتحول الخطاب إلى فعل دعائي يجمع بين الاعتراف بالذنب، والرجاء في العفو، والخوف من العاقبة. ومن منظور تداولي، يقوم الفعل الكلامي هنا على قوة إنجازية دعائية التماسيه تجمع بين الاعتراف بالذنب، والرجاء

في العفو، والخوف من العاقبة. وتتكون البنية التداولية لهذا الخطاب من أربع مراحل متتابعة: نداء دعائي، ثم اعتراف بالذنب، ثم التماس بالمغفرة، ثم بيان للعاقبة. (ابن عاشور، 1984).

الشكل 3

المنحنى التنغيمي للتردد الأساسي (F0) في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: 23).

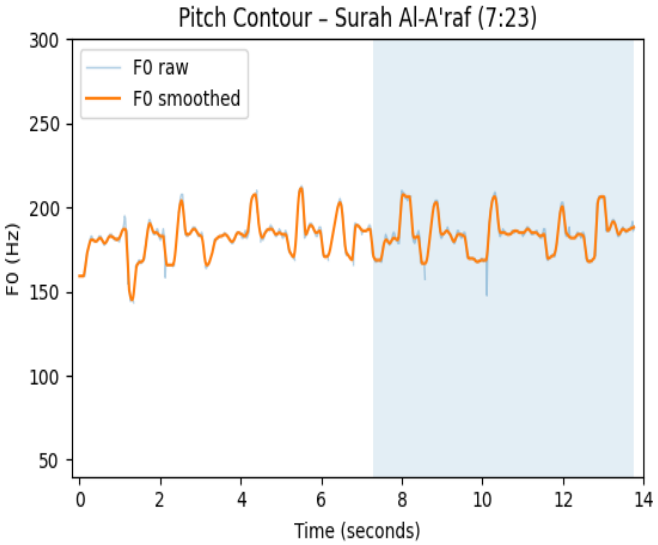

يبين الشكل 3 التغير في طبقة الصوت عبر الزمن أثناء الأداء القرائي. ويظهر في بداية المقطع نداء دعائي في قوله: ﴿رَبَّنَا﴾، يؤدي وظيفة استحضار المخاطَب الإلهي وافتتاح مقام التضرع. ثم تتسع الحركة التنغيمية في مقطع الاعتراف بالذنب ﴿ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾، بما يعكس انتقال المتكلم من النداء إلى كشف حاله أمام المخاطَب. ويستمر الامتداد اللحني في مقطع الالتماس بالمغفرة ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾، إذ يبرز الخطاب بوصفه طلبًا صادرًا من الأدنى إلى الأعلى. ثم يميل المنحنى إلى قدر من الاستقرار النسبي في الخاتمة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، بما يعكس الخوف من العاقبة وترسيخ معنى الافتقار إلى الرحمة الإلهية.

في ضوء المعطيات الصوتية والتداولية الواردة في الجدول 4، ينتقل التحليل إلى تفصيل مقاطع الدعاء والاعتراف والالتماس وبيان العاقبة، وربط خصائصها الصوتية بقوتها الإنجازية، وذلك على النحو الآتي:

في مقطع النداء الدعائي ﴿رَبَّنَا﴾، ينجز النداء فعلًا توجيهيًا التماسيًا تمهيديًا؛ إذ لا يطلب إقبال مخاطَب عادي، بل يستحضر المخاطَب الإلهي ويفتتح مقام التضرع. ويكون المتكلم آدم وحواء عليهما السلام، والمخاطَب هو الله تعالى، والسياق هو افتتاح الدعاء بعد وقوع المخالفة. وتقوم السلطة الخطابية هنا على خضوع المتكلم للمخاطَب، لا على الندية أو الإلزام؛ لأن المتكلم يتوجه من موقع الافتقار إلى مخاطَب يملك سلطة العفو والمغفرة. وقد بلغ متوسط التردد الأساسي نحو 177.30 هرتز، في حين سُجّل أدنى تردد عند 142.86 هرتز، وأقصاه عند 242.42 هرتز، مما يجعل المدى النغمي يقارب 99.57 هرتز. أما متوسط الشدة الصوتية فقد بلغ 74.45 ديسيبل، وامتدت المدة الزمنية إلى نحو 1.29 ثانية. وتكشف هذه المؤشرات الصوتية عن مستوى متوسط للتردد الأساسي مصحوب بمدى نغمي معتدل، وهو ما ينسجم مع الوظيفة التداولية للنداء الدعائي؛ إذ يؤدي لفظ ﴿رَبَّنَا﴾ دورًا افتتاحيًا في سياق الدعاء واستحضار المخاطَب الإلهي. ويظهر ذلك في ارتفاع صوتي نسبي متزن يخلو من الحدة والانفعال، ويتلاءم مع الطابع الوجداني الهادئ الذي يميز مقام الابتهال والتضرع.

الجدول 4

المؤشرات الصوتية للمقاطع التداولية في النموذج الثالث (الأعراف: 23).

المقطع التداولي	القوة الإنجازية الحرفية	القوة الإنجازية المستلزمة	متوسط التردد الأساسي	المدى النغمي	متوسط الشدة	المدة الزمنية (ثانية)
النداء الدعائي	نداء دعائي	استحضار المخاطَب الإلهي وافتتاح الدعاء	177.30	99.57	74.45	1.29
الاعتراف بالذنب	جملة إقراريه	اعتراف بالخطأ وإظهار الندم	185.32	209.67	74.35	3.06
الالتماس بالمغفرة	طلب دعائي	رجاء المغفرة والرحمة	185.77	204.95	71.51	4.44
بيان العاقبة	جملة تقريرية	إظهار الخوف من العاقبة	183.42	192.53	69.30	4.20

أما في مقطع الاعتراف بالذنب ﴿ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾، فينجز الخطاب فعلًا كلاميًا تعبيريًا؛ لأنه لا يكتفي بإخبار المخاطَب بوقوع الذنب، بل يعبّر عن حالة نفسية قائمة على الندم والانكسار وتحمل المسؤولية. فالمتكلم هنا يضع نفسه في موضع الاعتراف أمام مخاطَب يملك سلطة الحكم والعفو. وقد ارتفع متوسط التردد الأساسي إلى 185.32 هرتز، واتسع المدى النغمي إلى 209.67 هرتز، مع شدة صوتية بلغت 74.35 ديسيبل، ومدة زمنية قدرها 3.06 ثانية. ويكشف هذا الاتساع الملحوظ في المدى النغمي عن زيادة في الحركة التنغيمية المرتبطة بالاعتراف والانكسار. ومن ثمّ، لا يكون الاعتراف هنا مجرد إخبار عن وقوع الذنب، بل فعلًا تعبيريًا تداوليًا يُظهر الندم، ويؤسس لطلب المغفرة من المخاطَب الأعلى سلطة.

وفي مقطع الالتماس بالمغفرة ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾، ينجز الخطاب فعلًا توجيهيًا دعائيًا أو التماسيًا؛ لأنه يتضمن طلبًا موجّهًا إلى المخاطَب، لكنه طلب لا يقوم على الإلزام، بل على الرجاء والخضوع. ويصدر هذا الطلب من متكلم فاقد لسلطة الإلزام، في مقابل مخاطَب يملك وحده سلطة المغفرة والرحمة. وقد بلغ متوسط التردد الأساسي 185.77 هرتز، مع مدى نغمي قدره 204.95 هرتز، وشدة صوتية بلغت 71.51 ديسيبل، بينما امتدت المدة الزمنية إلى 4.44 ثانية، وهي أطول مدة بين المقاطع. ويكشف هذا الامتداد الزمني، مقترنًا بالاتساع النغمي، حالة الرجاء والتضرع التي تميز مقام الدعاء. فالأداء الصوتي هنا يبرز انتقال الخطاب من الاعتراف بالذنب إلى الالتماس الصريح، إذ يحاول المتكلم تعميق أثر الطلب في مقام الخضوع لا في مقام الأمر.

أما في مقطع بيان العاقبة ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فيتحول الخطاب إلى فعل إخباري ذي وظيفة تعبيرية؛ إذ يقرر المتكلم نتيجة عدم المغفرة والرحمة، لكنه لا يوردها بوصفها خبرًا مجردًا، بل بوصفها تعبيرًا عن الخوف من الخسران وتعزيزًا لفعل الالتماس السابق. فالمتكلم هنا يعرض مصيره أمام المخاطَب الإلهي ليؤكد حاجته إلى الرحمة والمغفرة. وقد سجل متوسط التردد الأساسي 183.42 هرتز، مع مدى نغمي قدره 192.53 هرتز، وشدة صوتية بلغت 69.30 ديسيبل، ومدة زمنية قدرها 4.20 ثانية. ويظهر الأداء الصوتي هنا في صورة انحدار نسبي في الشدة مع استمرار الامتداد الزمني، بما يمنح العبارة طابعًا ختاميًا قائمًا على الخوف والانكسار. وبذلك يتحول بيان العاقبة من جملة تقريرية إلى وسيلة تداولية لتقوية الدعاء وإظهار الحاجة إلى رحمة المخاطَب.

تحليل النموذج الرابع: النداء التعجيزي أو التهكمي (مقام التعجيز والتهكم):

يندرج هذا الخطاب ضمن مقام التعجيز والتهكم، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الأعراف: 77. ويتوجه قوم صالح في هذا الموضع إلى نبيهم بطلب إحضار العذاب الذي توعدهم به، لا على سبيل الإيمان أو الاستفهام الحقيقي، بل في سياق التحدي والاستهزاء (ابن كثير، 1998). وتقوم شروط الإنجاز التداولية في هذا المقطع على علاقة خطابية متوترة بين جماعة مكذبة ونبي مرسل؛ فالمتكلم هو قوم صالح، والمخاطَب هو صالح عليه السلام، أما السلطة الخطابية الحقيقية فهي سلطة النبوة والرسالة التي يمثلها المخاطَب، غير أن المتكلمين يحاولون لغويًا قلب هذه السلطة عبر استعمال الأمر والشرط استعمالًا تهكميًا. ويتحدد السياق في مقام التكذيب والعناد بعد رفضهم دعوة صالح، إذ يتحول الخطاب من طلب ظاهري إلى فعل إنجازي غرضه التحدي والتشكيك والاستخفاف. ومن منظور تداولي، يقوم الفعل الكلامي هنا على قوة إنجازية تعجيزية تهكمية؛ إذ يُستعمل النداء والأمر الظاهري لا لإحداث طلب حقيقي، بل لمواجهة المخاطَب ومحاولة نزع المصداقية عن رسالته. وتتكون البنية التداولية للخطاب من ثلاث مراحل: النداء، ثم طلب التحدي، ثم الشرط التهكمي.

الشكل 4

المنحنى التنغيمي للتردد الأساسي (F0) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف: 77).

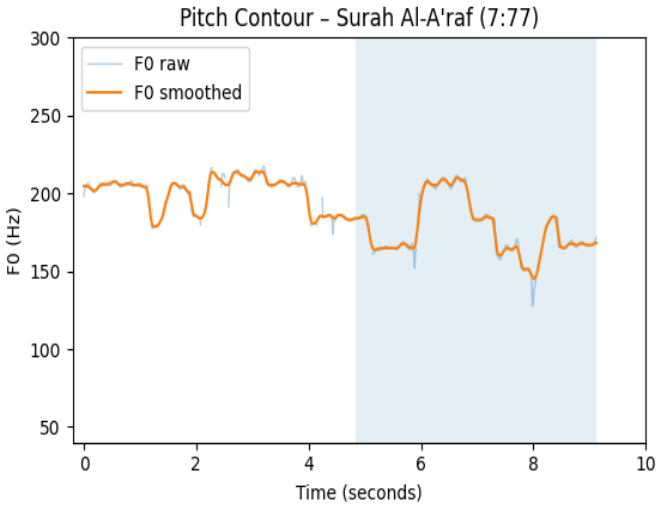

يبين الشكل 4 التغير في طبقة الصوت عبر الزمن أثناء الأداء القرائي. ويظهر في بداية المقطع بروز تنغيمي في النداء ﴿يَا صَالِحُ﴾، وهو بروز لا يؤدي وظيفة الاستدعاء المحايد، بل يضع المخاطَب في موضع المواجهة. ثم يتجه المنحنى إلى قدر من التركيز والاستقرار النسبي في مقطع ﴿ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾، إذ يتحول الأمر الظاهري إلى أداة للتحدي التعجيزي. وبعد ذلك يميل الأداء إلى امتداد زمني أوضح وانخفاض نسبي في الطبقة الصوتية في المقطع الأخير ﴿إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، وفيه تظهر نبرة الشرط التهكمي والتشكيك في صدق الرسالة.

الجدول 5

المؤشرات التداولية والصوتية للنموذج الرابع (الأعراف: 77).

المقطع التداولي	القوة الإنجازية الحرفية	القوة الإنجازية المستلزمة	متوسط التردد الأساسي	المدى النغمي	متوسط الشدة	المدة الزمنية (ثانية)
النداء	نداء بالاسم العلم	استخفاف وتحدٍّ مبطن	196.36	90.48	78.95	1.509
التحدي التعجيزي	أمر طلبي	تحدٍّ تعجيزي	197.26	52.14	78.42	2.635
الشرط التهكمي	جملة شرطية	تشكيك واستهزاء	176.37	91.75	70.38	4.062

وانطلاقًا من المعطيات الواردة في الجدول 5، ينتقل التحليل إلى تفصيل المقاطع التداولية في الآية وربط خصائصها الصوتية بقوتها الإنجازية، على النحو الآتي:

في مقطع النداء ﴿يَا صَالِحُ﴾، ينجز النداء فعلًا توجيهيًا تمهيديًا ذا وظيفة تهكمية؛ إذ لا يهدف إلى مجرد استدعاء المخاطَب أو طلب إقباله، بل يمهّد لوضعه في موضع المواجهة والتحدي. ويكون المتكلم هنا قوم صالح، والمخاطَب هو صالح عليه السلام، والسياق هو سياق التكذيب والمواجهة. وتأتي البنية الحرفية في صورة نداء بالاسم العلم، غير أن شروط الإنجاز التداولية تحوّل هذا النداء من استدعاء عادي إلى مدخل للتهكم والاستخفاف؛ لأن المتكلمين لا يخاطبون صالحًا بوصفه نبيًا ذا سلطة رسالية، بل بوصفه طرفًا يريدون تحديه والتقليل من شأن رسالته. وقد بلغ متوسط التردد الأساسي 196.36 هرتز، مع مدى نغمي قدره 90.48 هرتز، ومتوسط شدة بلغ 78.95 ديسيبل، ومدة زمنية قدرها 1.509 ثانية. وتشير هذه القيم إلى بروز صوتي واضح في النداء، يعكس نبرة استعلائية تمهّد لخطاب التحدي، وتضع المخاطَب في موضع المواجهة المباشرة.

أما في مقطع التحدي التعجيزي ﴿ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾، فينجز الخطاب فعلًا توجيهيًا ظاهريًا ذا وظيفة تعجيزية؛ إذ تأتي البنية الحرفية في صيغة أمر طلبي، غير أن القوة الإنجازية المستلزمة لا تتمثل في طلب حقيقي، بل في تحدٍّ يراد منه إحراج المخاطَب والتشكيك في قدرته وصدق وعيده. فالمتكلمون يتصرفون كما لو كانت لهم سلطة مطالبة النبي بإحضار العذاب، مع أن السلطة الحقيقية ليست لهم، بل لله تعالى الذي يملك إنفاذ الوعيد. ومن هنا ينشأ البعد التهكمي من محاولة المتكلمين قلب علاقة السلطة الخطابية، وجعل النبي في موضع المطالَب بإثبات صدقه أمامهم. وقد ارتفع متوسط التردد الأساسي إلى 197.26 هرتز، وهو أعلى متوسط طبقي في الخطاب، في حين ضاق المدى النغمي إلى 52.14 هرتز، مع شدة صوتية بلغت 78.42 ديسيبل، ومدة زمنية قدرها 2.635 ثانية. ويشير هذا الارتفاع في التردد، مع تضييق المدى النغمي، إلى أداء صوتي أكثر حدة وتركيزًا، يتناسب مع طبيعة الاستفزاز والتحدي المباشر للمخاطَب.

أما في مقطع الشرط التهكمي ﴿إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، فينجز الخطاب فعلًا إخباريًا /تعليقيًا ذا وظيفة تهكمية؛ إذ تأتي البنية الحرفية في صورة جملة شرطية ظاهرها تعليق الطلب على صدق الرسالة، لكنها في ضوء شروط الإنجاز تؤدي وظيفة التشكيك والاستهزاء. فالمتكلمون لا يطلبون برهانًا بإخلاص، بل يجعلون الشرط وسيلة للطعن في هوية المخاطَب الرسالية. وهنا ينتقل الخطاب من تحدي القدرة إلى التشكيك في الصفة النبوية نفسها؛ أي إن العلاقة بالمخاطَب تتحول من مواجهة مباشرة إلى محاولة إسقاط سلطته الدينية والرسالية. وقد انخفض متوسط التردد الأساسي إلى 176.37 هرتز، بينما اتسع المدى النغمي إلى 91.75 هرتز، وانخفضت الشدة الصوتية إلى 70.38 ديسيبل، في حين سجلت المدة الزمنية أطول قيمة بين المقاطع الثلاثة، إذ بلغت 4.062 ثانية. ويشير هذا الامتداد الزمني، مع الانخفاض النسبي في التردد والشدة، إلى نبرة متهلة تحمل طابعًا تهكميًا، وتمنح العبارة أثرًا تداوليًا قائمًا على التشكيك والسخرية من المخاطَب.

الجدول 6

مقارنة المؤشرات الصوتية الرئيسة في نماذج النداء في سورة الأعراف

النموذج	الآية	القوة الإنجازية	متوسط التردد الأساسي	المدى النغمي	متوسط الشدة	المدة الزمنية (ثانية)
1	19	التوجيه والإرشاد	183.8	90.2	76.7	0.80
2	27	التحذير والإنذار	184.4	115.2	78.9	2.09
3	23	الدعاء والابتهال	185.3	209.7	74.3	3.06
4	77	التعجيز والتهكم	196.36	90.48	78.95	1.509

يكشف الجدول 6، من خلال المقارنة بين النماذج الأربعة المختارة من نداءات سورة الأعراف، عن وجود علاقة واضحة بين القوة الإنجازية للخطاب والخصائص التنغيمية المصاحبة للأداء الصوتي. فقد ظهر أن المقامات ذات الطابع الوجداني والانفعالي الأقوى، مثل مقام الدعاء والابتهال، تتسم بمدى نغمي أوسع وامتداد زمني أطول؛ إذ بلغ المدى النغمي في هذا المقام نحو 209.7 هرتز، بما يدل على حيوية الحركة التنغيمية في سياقات الرجاء والتضرع. وفي المقابل، اتسم مقام التوجيه والإرشاد بمدى نغمي أقل نسبيًا بلغ نحو 90.2 هرتز، وهو ما يعكس طابعًا صوتيًا أكثر استقرارًا واتزانًا، ينسجم مع طبيعة الفعل الكلامي التوجيهي القائم على البيان والتنظيم. أما مقام التحذير والإنذار، فجاء في منزلة وسطى من حيث الاتساع النغمي، مع احتفاظه ببروز صوتي واضح يتناسب مع طبيعته التنبيهية والإنذارية، إذ يسعى الخطاب إلى حمل المخاطَب على الحذر والامتثال. كما أظهر مقام التعجيز والتهكم أعلى متوسط للتردد الأساسي، إذ بلغ 196.36 هرتز، مع شدة صوتية مرتفعة نسبيًا، بما ينسجم مع فعل كلامي توجيهي ظاهري لا يراد به الطلب الحقيقي، بل التحدي والاستهزاء ومحاولة قلب السلطة الخطابية.

4. الخاتمة:

4.1 النتائج: أسفر التحليل التداولي-الصوتي لنداءات سورة الأعراف عن جملة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يأتي:

1. كشفت الدراسة عن وجود علاقة واضحة ومنتظمة بين القوة الإنجازية للخطاب والخصائص التنغيمية المصاحبة للأداء الصوتي؛ إذ واكب اختلاف المقاصد الخطابية تغيرٌ ملحوظ في متوسط التردد الأساسي، والمدى النغمي، والشدة الصوتية، والمدة الزمنية. غير أن هذا الترابط لا يمكن النظر إليه بوصفه قانونًا صوتيًا حتميًا، بل بوصفه ميلًا صوتيًا تداوليًا تحكمه شروط المقام والسياق. فالأداء الصوتي يعيد تشكيل ملامحه بحسب طبيعة الفعل الكلامي وشروط إنجازه، من حيث هوية المتكلم، وموقع المخاطَب، والسلطة الخطابية الحاكمة للمقام. وبذلك يغدو التنغيم آلية صوتية كاشفة عن العلاقة التفاعلية بين الخطاب والمخاطَب، لا مجرد انعكاس مباشر للمعنى.
2. بيّن التحليل أن النداء في سورة الأعراف لا ينجز وظيفة واحدة ثابتة، بل يدخل في أنماط مختلفة من الأفعال الكلامية؛ فقد يرد بوصفه فعلًا توجيهيًا تمهيديًا كما في مقام التوجيه والإرشاد، أو فعلًا توجيهيًا ناهيًا كما في مقام التحذير، أو فعلًا التماسيًا دعائيًا كما في مقام الدعاء، أو فعلًا توجيهيًا ظاهريًا ذا وظيفة تهكمية كما في مقام التعجيز.
3. -بيّن التحليل الصوتي أن التردد الأساسي (F0) يمثل مؤشرًا مهمًا على طبيعة الفعل الكلامي، إذ يميل إلى الارتفاع في مقاطع النداء والتنبيه مقارنة بالمقاطع التقريرية أو الختامية.
4. اتضح أن المقامات ذات الطابع الوجداني، مثل الدعاء، تتسم غالبًا باتساع المدى النغمي، بما يعكس ارتفاع الشحنة العاطفية في سياقات الرجاء والتضرع.
5. في المقامات التوجيهية، مثل مقام الإرشاد، ظهر استقرار نسبي في المنحنى التنغيمي مع مدى نغمي أقل مقارنة ببقية المقامات، وهو ما ينسجم مع طبيعة الخطاب التوجيهي القائم على البيان والاتزان.
6. كشفت النتائج أن الشدة الصوتية تميل إلى الارتفاع في سياقات التحذير والتعجيز، في حين تنخفض نسبيًا في المقامات الدعائية.
7. أظهرت المقاطع الدعائية امتدادًا زمنيًا أطول نسبيًا، وهو ما يعكس الطابع الوجداني المتسم بالتضرع والانكسار والرجاء.
8. تبين أن المنحنى التنغيمي في النداء القرآني لا يقتصر على أداة النداء، بل يشمل المنادى وما يتبعه من الجملة الخطابية، مشكلًا وحدة صوتية متكاملة.
9. أظهر التحليل الحاسوبي باستخدام برنامج Praat إمكان الإفادة من مؤشرات كمية قابلة للقياس، مثل متوسط التردد الأساسي، والمدى النغمي، والشدة، والمدة الزمنية، في دراسة الوظيفة التداولية للتنغيم في الأداء القرآني.

4.2 مناقشة النتائج :تكشف نتائج الدراسة عن وجود ارتباط واضح بين القوة الإنجازية للنداء في سورة الأعراف والسمات التنغيمية المصاحبة للأداء القرائي، مما يدل على أن التنغيم يؤدي وظيفة تداولية تسهم في إبراز المقصد الخطابي، ولا يقتصر على كونه عنصرًا صوتيًا شكليًا. فقد أظهرت الدراسة أن ارتفاع التردد الأساسي يرتبط غالبًا بمقاطع النداء والتنبيه، في حين تتسم المقامات ذات الطابع الوجداني، مثل الدعاء والتعجيز، باتساع أكبر في المدى النغمي وامتداد زمني أوضح، وهو ما يعكس تصاعد الشحنة الانفعالية في الخطاب. وفي المقابل، بدا المنحنى التنغيمي أكثر استقرارًا في المقامات التوجيهية، بما ينسجم مع طبيعتها القائمة على البيان والإرشاد. كما بينت النتائج أن الشدة الصوتية ترتفع نسبيًا في سياقات التحذير والتعجيز، بينما تنخفض في المقامات الدعائية، الأمر الذي يؤكد أن الشدة والمدة الزمنية تسهمان أيضًا في تجسيد المقصد التداولي للخطاب. وتبين كذلك أن التنغيم في النداء القرآني لا يقتصر على أداة النداء، بل يمتد إلى المنادى والجملة التابعة له، مما يجعل النداء وحدة صوتية ودلالية متكاملة.

وتبين كذلك أن النداء في سورة الأعراف لا يعمل بوصفه بنية لغوية مستقلة، بل بوصفه مدخلًا لإنجاز أفعال كلامية مختلفة. ففي مقام التوجيه يمهّد النداء لفعل كلامي توجيهي قائم على الأمر والإباحة والنهي، وفي مقام التحذير يستدعي المخاطَب الجماعي تمهيدًا لفعل ناهٍ وإنذاري، وفي مقام الدعاء يستحضر المخاطَب الإلهي ضمن فعل التماسي تعبيري، أما في مقام التعجيز فيتحول النداء إلى مدخل تهكمي للمواجهة والتحدي. وبذلك يتضح أن النداء لا يُفهم تداوليًا من صيغته وحدها، بل من علاقته بما يليه من أفعال كلامية، ومن شروط المقام التي تحكم العلاقة بين المتكلم والمخاطَب.

وبناءً على ذلك، تدعم الدراسة فرضيتها الرئيسة، ومفادها أن التنغيم في الأداء القرائي لنداءات سورة الأعراف يرتبط ارتباطًا وظيفيًا بالقوة الإنجازية للخطاب، مع مراعاة أن هذا الارتباط ليس قانونًا صوتيًا ثابتًا، بل علاقة صوتية–تداولية تتأثر بنوع الفعل الكلامي، وشروط الإنجاز، والسياق المقامي، والسلطة الخطابية الحاكمة للمقام. كما أبرز التحليل أهمية الإفادة من المؤشرات الكمية في دراسة الوظيفة التداولية للتنغيم.

4.3 التوصيات: في ضوء نتائج الدراسة، توصي الباحثة بما يأتي:

1. توسيع الدراسة لتشمل سورًا قرآنية أخرى؛ للتحقق من ثبات الأنماط التنغيمية المرتبطة بالقوى الإنجازية في سياقات مختلفة.
2. إجراء دراسات مقارنة بين الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم، مثل الاستفهام والأمر والنهي والدعاء؛ للكشف عن أثر اختلاف البنية الأسلوبية في الخصائص التنغيمية.
3. ربط التحليل الصوتي بالسياق التفسيري والبلاغي، بحيث يُفهم التنغيم في ضوء المقام النصي والدلالة العامة.
4. دراسة أداء أكثر من قارئ؛ لاختبار مدى استقرار السمات التنغيمية وتمييزها من الفروق الفردية في الأداء.

المصادر

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي. (1998). تفسير القرآن العظيم (تحقيق وتعليق: محمد حسين شمس الدين، ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

أنيس، إبراهيم. (د.ت). الأصوات اللغوية. القاهرة: مطبعة نهضة مصر.
أيوب، عبد الرحمن. (1968). أصوات اللغة (ط2). القاهرة: مطبعة الكيلاني.
بشر، كمال. (2000). علم الأصوات (ط2). القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
حسان، تمام. (1979). اللغة العربية معناها ومبناها (ط2). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
حسان، تمام. (1986). مناهج البحث في اللغة. الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر.
الحمزاوي، محمد رشاد. (1987). المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية (ط1). تونس: الدار التونسية للنشر.
حنا، سامي عيد. (2003). معجم اللسانيات الحديثة. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
الخطيب القزويني. (1904). تلخيص المفتاح في علوم البلاغة (تحقيق عبد الرحمن البرقوقي). القاهرة: دار الكتاب العربي.
الخويسكي، زين كامل. (2007). الأصوات اللغوية (ط1). الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري. (1982). إعراب القرآن (تحقيق إبراهيم الإبياري). القاهرة: دار الكتب الإسلامية.
الزحيلي، وهبة. (2014). التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم. دمشق: دار الفكر.
الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (2005). البرهان في علوم القرآن (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). بيروت: المكتبة العصرية.
الزمخشري، محمود بن عمر. (2009). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تحقيق خليل مأمون شيحا). بيروت: دار المعرفة.
سلامة، ميرفانا ياسر. (2004). الفيزياء الموجية. عمّان: دار صفاء للنشر.
سيبويه. (1988). الكتاب (تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط3). القاهرة: مكتبة الخانجي.
الشاوش، محمد. (2001). أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص (ج2). تونس: المؤسسة العربية للتوزيع.
الشايب، فوزي. (1999). محاضرات في اللسانيات (ط1). عمّان: وزارة الثقافة.
الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (2004). استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
الصابوني، محمد علي. (1997). صفوة التفاسير (ط1). القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.
العاني، سلمان حسن. (1983). التشكيل الصوتي في اللغة العربية: فونولوجيا العربية (ترجمة ياسر الملاح). جدة: النادي الأدبي الثقافي.
العبسي، خالد عبد الحليم. (2011). النبر في العربية وتطبيقاته في القرآن الكريم. إربد: عالم الكتب الحديث.
عمر، أحمد مختار. (1997). دراسة الصوت اللغوي. القاهرة: عالم الكتب.
الغامدي، منصور محمد. (2000). الصوتيات العربية. الرياض: المؤلف.
فارس، أحمد محمد. (1989). النداء في اللغة والقرآن (ط1). بيروت: دار الفكر اللبناني.
الفقي، صبحي إبراهيم. (2000). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.
قدور، أحمد. (2011). مبادئ اللسانيات. بيروت: الدار العربية.
القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (1964). الجامع لأحكام القرآن (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2). القاهرة: دار الكتب المصرية.
لافوجد، بيتر. (2009). عناصر صوتيات موجات الكلام (ترجمة محمد إسحق العناني). عمّان: دار جرير للنشر.
المتوكل، أحمد. (1985). الوظائف التداولية في اللغة العربية. الدار البيضاء: دار الثقافة.
محمد خان. (2004). لغة القرآن الكريم: دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة (ط1). الجزائر: دار الهدى.
مصلوح، سعد. (1980). دراسة السمع والكلام. القاهرة: عالم الكتب.
النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد. (2008). إعراب القرآن (تحقيق خالد العلي). بيروت: دار المعرفة.
نحلة، محمود أحمد. (1990). في البلاغة العربية (علم المعاني). بيروت: دار العلوم العربية.

الرسائل الجامعية والمقالات

بوالرش، حليمة. (2012). أفعال الكلام في الخطاب القرآني: سورة البقرة أنموذجًا (دراسة تداولية). رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.
بوزناشة، نور الدين. (2022). ظاهرة التنغيم ودورها المعنوي في توجيه الدلالة: نماذج مختارة من القرآن الكريم. مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، 8(2)، 8-97. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر.
بومسحة، العربي. (2019). تداولية أسلوب النداء في التراث النحوي العربي: مقاربة سياقية من خلال نظرية الأفعال الكلامية. المعيار، 10(1). المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر.
حمّاد، قصي جواد (2025). دور التنغيم في تمايز المعاني: دراسة نحوية صوتية. مجلة الباحث للعلوم الإسلامية، 1(1).
العبد القادر، بدر بن علي. (2021). القوة الإنجازية للأفعال الكلامية: دراسة تداولية تطبيقية. مجلة الأثر، 18(1)، العدد التسلسلي 35، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، معهد تعليم اللغة العربية - قسم علم اللغة التطبيقي.
محمد نوار العوا، عفاف الشلبي، وأميمة الدكاك. (2013). دراسة تفهيم الكلام المركب باللغة العربية وتوليده آلياً. مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، 29(1)، 209.
محمد، هالة ناجح حسن، وحسن، محمد بشير. (2019). أثر التنغيم في أسلوبي الاستفهام والنداء في سورتي الكهف والأحزاب. مجلة ديالى، (80).
المومني، أسماء أحمد. (2025). دراسة صوتية تداولية في اختلال التنغيم الوظيفي في الأداء الشفهي لدى متعلمي العربية لغة ثانية. مجلة الدراسات اللغوية والأدبية،

16(2)، ديسمبر 2025.

نحلة، محمود محمد. (1999). نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية. مجلة الدراسات اللغوية، 1(1)، 13–20.

Couper-Kuhlen, E., & Selting, M. (1996). Prosody in Conversation: Interactional Studies. Cambridge: Cambridge University Press.

Crystal, D. (2008). A Dictionary of Linguistics and Phonetics (6th ed.). Oxford: Blackwell.

Longman. (1987). Longman Dictionary of Contemporary English (5th ed.). Harlow: Longman.

Abstract

This study investigates the intonational representation of illocutionary force in the vocatives of Surat Al-A‘raf through a quantitative phonetic–pragmatic approach. It aims to examine the relationship between intonational features in Qur’anic recitation and the pragmatic functions of vocative discourse. The study analyzes four selected models representing guidance, warning, supplication, and challenge/mockery, using Praat to measure fundamental frequency F0, pitch range, intensity, duration, and intonation contours.The findings reveal a regular, though not deterministic, relationship between illocutionary force and intonational patterns. Guidance contexts show relative tonal stability, warning and challenge contexts display stronger acoustic prominence, while supplicatory contexts are marked by wider pitch range and longer duration. The study concludes that intonation in Qur’anic performance functions as an important phonetic–pragmatic indicator that helps represent the illocutionary force of discourse.

Keywords: Intonation, Vocative, Illocutionary Force, Quantitative Acoustic Analysis, Phonetic Pragmatics.